

البداية والنهاية

الآن أصحاب ينسبون إليه ويغالون فيه ويغلون وقد كان الحلاج في عبارته حلو المنطق وله شعر على طريقة الصوفية قلت لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين في أمره فأما الفقهاء فحكى عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله وأنه قتل كافرا وكان كافرا ممخرقا مموها مشعبذا وبهذا قال أكثر الصوفية فيه ومنهم طائفة كما تقدم أجملوا القول فيه وعرهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله فإنه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتألّه وسلوك ولكن لم يمكن له علم ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان فلماذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وقال سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى ولهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد فصار من أهل الانحلال والانحراف وقد روى من وجه أنه تقلبت به الأحوال وتردد إلى البلدان وهو في ذلك كله يظهر للناس أنه من الدعاة إلى الله وضح أنه دخل إلى الهند وتعلم بها السحر وقال أدعو به إلى الله وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث أي أنه من رجال الغيث ويكاتبه أهل سرخس بالمقيت ويكاتبه أهل خراسان بالميمز وأهل فارس بأبي عبداً الزاهد وأهل خوزستان بأبي عبداً الزاهد حلاج الأسرار وكان بعض البغاددة حين كان عندهم يقولون له المصطلم وأهل البصرة يقولون له المحير ويقال إنما سماه الحلاج أهل الأهواز لأنه كان يكشفهم عن ما في ضمائرهم وقيل لأنه مرة قال لحلاج اذهب لي في حاجة كذا وكذا فقال إني مشغول بالحلج فقال اذهب فأنا أحلج عنك فذهب ورجع سريعاً فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه يقال إنه أشار بالمرود فامتاز الحب عن القطن وفي صحة هذا ونسبته إليه نظر وإن كان قد جرى مثل هذا فالشياطين تعين أصحابها ويستخدمونهم وقيل لأن أباه كان حلاجياً ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة منها شعره في ذلك فمن ذلك قوله ... جبلت روحك في روحي كما ... يجبل العنبر بالمسك الفنق ... فإذا مسك شيء مسني ... وإذا أنت أنا لا نفترق ... وقوله ... مزجت روحك في روحي كما ... تمزج الخمرة بالماء الزلال ... فإذا مسك شيء مسني ... فإذا أنت أنا في كل حال ... وقوله أيضاً ... قد تحققتك في سر ... ي فخاطبك لساني ... فاجتمعنا لمعان ... وافترقنا لمعان ... إن يكن غيبتك التعطي ... م عن لحظ العيان ... فلقد صيرك الوج ... د من الأحشاء دان